العامل الثقافي وأثره
في تأخر سن الزواج

أ.د. كمال لدرع
جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية . قسنطينة.

تمهيد:

مما يلاحظ في مجتمعنا الجزائري وأيضا في كثير من المجتمعات العربية هو انتشار ظاهرة العنوسة، وتأخر سن الزواج، وعزوف الشباب عنه، وكان لذلك انعكاساته الاجتماعية التي صارت تقلق المجتمع، وتفرز نتائج اجتماعية واقتصادية وسلوكية وثقافية خطيرة.

وظاهرة تأخر الزواج تكاد تكون عامة في بلاد العالم الإسلامي والعربي وكان لابد لنا من وقفة معها مع الأسباب وكيفية حل هذه المشكلة والحد من هذه الظاهرة.

وهذه الظاهرة لم تكن موجودة في مجتمعنا حتى في الفترة الاستعمارية، لذلك أصبحت محل بحث ودراسة من قبل بعض الدارسين، مما يستدعي البحث عن عواملها وأسبابها وعلاجها.

ولعل من العوامل التي تستدعي بحثا ودراسة العامل الثقافي، الذي قد يكون له أثر ليس بالهين على انتشار هذه الظاهرة واستفحالها في مجتمعنا الجزائري. ولا شك أن المجتمع الجزائري مر بتطورات مختلفة بعد الاستقلال أحدثت فيه تغيرات على مستوى الثقافة والسلوك، إضافة إلى التأثر المباشر بالمحيط الخارجي، حيث غدا العالم قرية صغيرة؛ كل ذلك شكل ثقافة جديدة كانت لها انعكاسات واضحة ومباشرة على عقلية الفرد الجزائري، وعلى نمط حياته.

وسوف اقتصر في هذه المداخلة على بيان أثر العامل الثقافي على نمط حياة المجتمع وتغييره، ومن ثم تأثيره على تغير نظرة الفرد إلى الزواج، والعزوف عنه؛ كما ترمي إلى التمييز بين ثقافة الغرب وثقافة الإسلام في ذلك، ومكانة الزواج في كل من الثقافتين.

تعريف الثقافة:

تعريفها في اللغة:

لم ترد كلمة (ثقافة) في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية المطهرة، كما لم ترد في نصوص العرب وأشعارهم لا في جاهلية ولا في إسلام وقد وصفها المعجم الوسيط بأنها كلمة محدثة في اللغة العربية، مما يدل على أنه لم يكن لها عند العرب والمسلمين ذلك الوزن الذي يعطى لها اليوم، ومن هنا فإن العرب والمسلمين حتى ما قبل قرن من الزمان لم يكونوا يولونها أي حظ من الاهتمام، بينما هي اليوم أساس الحديث في كل قضية.

وبالنظر إلى جذر كلمة ثقافة وهو: ث .ق .ف، نجد له معنيان رئيسان متباينان في اللغة العربية:

الأول: ثَقَفَ: قال الفيروز أبادي: ثَقَفه: أي صادفه أو أخذه أو ظفر به أو أدركه.

وأُثقِفْتُهُ: قُيِّضَ لي. وبهذا المعنى جاء قوله تعالى: (**فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم**) [1].

والثاني: ثَقِفَ يثقَف، وثَقُفَ يثقُف، ثَقْفاً وثَقَفاً وثقافة: صار حاذقاً خفيفاً فطناً[2]. ومنه: ثَقِفَ الكلام: حذقه وفهمه بسرعة، وثَقَّفَ الرمحَ: قوّمه وسوّاه، وثقّف الولد: هذّبه وعلّمه. وثاقفه مثاقفةً: غالبه فغلبه في الحذق[3].

ويبين ابن منظور في لسان العرب أن معنى ثَقَفَ: جدّد وسوّى، ويربط بين التثقيف والحذق وسرعة التعليم.

ويعرف المعجم الوسيط الثقافة بأنها (العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق).

أما في اللغة الفرنسية، فكلمة culture التي تترجم إلى العربية على أنها الثقافة والتهذيب والحراثة وقد يعطونها أحياناً معنى الحضارة، هذه الكلمة جذرها cult ومعناها: عبادة ودين، ومن مشتقاتها cultivation ومعناها: حراثة، تعهد، تهذيب، رعاية، و culturel ومعناها ثقافي، مستولد[4].

ونلاحظ أن معناها في الفرنسية وكذلك في الانجليزية لا يخرج عن معناها في العربية غير أنه يضيف معنى آخر وهو حراثة الأرض، ورعاية الزرع، والاستنبات والتوليد، لكنه بشكل ما يربط مفهوم الثقافة بالدين والعبادة، فهما من جذر واحد، فالدين كان المنبع الأول إن لم نقل الوحيد للثقافة قديماً. وحتى اليوم لا يزال المنبع الأساسي والمرتكز الأهم للثقافة في معظم المجتمعات.

---

[1] – الأنفال:57.

[2] – الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، مادة ثقف، ج:3، ص:121.

[3] – القاموس المحيط . المعجم الوسيط . المنجد – و د. معن زيادة، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، ص:29.

[4] – مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ص:26.

تعريفها في الاصطلاح:

إن مصطلح (الثقافة) بالمعنى المتداول اليوم هو مصطلح غربي، وفد إلينا وتأثرنا به نحن العرب والمسلمون، لذلك لابد من بيان معناه أولا عند الغربيين:

تعريف تايلور: (الثقافة هي ذلك المركب الكلي الذي يشتمل على المعرفة والمعتقد والفن والأدب والأخلاق والقانون والعرف والقدرات والعادات الأخرى، التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع) [1].

وهذا التعريف يتميز بعموميته وطابعه الوصفي، وإهماله حركية وديناميكية الظاهرة الثقافية، إضافة إلى إهماله العلاقة بين الثقافة والمجتمع البشري الحامل لتلك الثقافة[2].

تعريف كوينسي رايت: الثقافة هي النمو التراكمي للتقنيات والعادات والمعتقدات لشعب من الشعوب، يعيش في حالة الاتصال المستمر بين أفراده، وينتقل هذا النمو التراكمي إلى الجيل الناشئ عن طريق الآباء وعبر العمليات التربوية) [3].

وهذا التعريف لم يتمكن من التخلص كلية من الطابع الوصفي الذي أخذ على تعريف تايلور، كما أنه لا يتضمن الدور الذي يمكن أن تلعبه الثقافة في توجيه سلوك الإنسان، وبالتالي لا يتضمن دور الثقافة في صنع حاضر الإنسان ومستقبله[4].

تعريف مالينوفسكي: (الثقافة هي جهاز فعال ينتقل بالإنسان إلى وضع أفضل، وضع يواكب المشاكل والطروح الخاصة التي تواجه الإنسان في هذا المجتمع أو ذاك في بيئته وفي سياق تلبيته لحاجاته الأساسية)[5].

وعرفها هنري لاوست بقوله:"إن الثقافة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة، التي يتكون منها مبدأ خلقي لأمة ما، ويؤمن أصحابها بصحتها، وتنشأ منهاعقلية خاصة بتلك الأمة تمتاز عن سواها".

أما آرنست باركر فعرفها بقوله:" إنها ذخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها، وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تأريخ طويل، وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية هي جزء من تلك الذخيرة المشتركة من الأفكار والمشاعر واللغة".

---

[1] – معن زيادة، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، ص:30 نقلا عن كتاب إدوارد ب تايلور (الثقافة البدائية) الصادر عام 1881م و الجدير ذكره أن تايلور لا يفرق بين الحضارة والثقافة فهذا التعريف لديه ينطبق على كل من الحضارة والثقافة على السواء.

[2] – معن زيادة، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، ص:30.

[3] – المصدر السابق، ص:31.

[4] – المصدر السابق.

[5] – المصدر السابق.

تعريف غوستاف فون غرونيوم في مطلع كتابه عن هوية الإسلام الثقافية الصادر في باريس عام 1973 حيث يقول عن الثقافة إنها (نظام مغلق من الأسئلة والأجوبة، المتعلقة بالكون وبالسلوك الإنساني) [1].

ويلاحظ من خلال بعض تعاريف هؤلاء الغربيين الإشارة إلى أهمية العقيدة ودور الدين في صناعة الثقافة وتوجيه سلوك الإنسان.

ومع هذا فإن هذه التعريفات على مالها من مدلولات قيمة. إلا أنها لا تغطي الأبعاد المختلفة لمعنى الثقافة أو مفهومها، وهذا لا يعني قصورها أو خطأها.

وحتى يكون للثقافة معناها ومفهومها الشامل، فلابد من أن تشمل الجانبين :النظري والعلمي.

وهذا ما نجده عند المفكر الجزائري العالمي مالك بن نبي الذي عرف الثقافة في كتابه (مشكلة الثقافة) بقوله: إنها (مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته، وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه) [2].

مما سبق ذكره يتبين أن الثقافة هي كل هذا المركب الكلي من العلوم والمعارف والمعتقد والفن والأخلاق والقانون والعرف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في المجتمع، كما تشمل المنجزات الفكرية المعنوية التي يبتكرها الإنسان في تنظيم حياته مع الآخرين [3].

ويستفاد من التعاريف السابقة أن الثقافة تتشكل من نوعين من العناصر:

1 . عناصر مادية: و هي تتضمن كل ما ينتجه الإنسان من مخترعات حسية.

2 . عناصر غير مادية: تتضمن الأعراف و العادات والتقاليد والقيم والأخلاق، و هي عناصر سلوكية يمارسها الفرد خلال حياته.

أهمية العامل الثقافي في تماسك المجتمع:

بعدما عرفنا معنى الثقافة، فإنه يمكن أن نقول بأن الثقافة تمثل المخزون الحي في ذاكرة المجتمع، وهي تتكون من تراكم العلوم والمعارف والأفكار والمعتقدات والفنون والآداب والأخلاق والقوانين والأعراف والتقاليد والمدركات الذهنية والحسية والموروثات التاريخية واللغوية والبيئية، هذا المركب هو الذي يصوغ فكر الإنسان ويمنحه الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تصبغ سلوكه العملي في الحياة، وتحرك طاقاته، وما ينتج عن ذلك من فكر وعمل سواء أكان فرديا أو جماعيا.

---

[1] – المصدر السابق.

[2] – مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**، ص:26 – وانظر الثقافة.. الغزو الثقافي للسيد فوزي الجودة، دراسة منشورة في دورته/المناضل/العدد: 280 ص:44.

[3] – معن زيادة، **معالم على طريق تحديث الفكر العربي**، ص:29.

لذلك فالثقافة بهذا المعنى ليست بعيدة عن قضايا المجتمع، بل هي منبع فكره وسلوكه، ولها أثرها في كل ما يعيشه المجتمع من تحول وأزمة وتطور وتخلف وما إلى ذلك من القضايا الّتي يعيشها كل مجتمع في مراحله المختلفة. ومن هنا فإن أي تحول وتطور في الحركة الثقافية يعتبر أمراً طبيعياً ومتوقعاً، على أن لا يمس الثوابت. وعلى طول التاريخ كان الانحطاط الثقافي ينشأ أحياناً من عوامل داخلية وخارجية، لكن العامل الخارجي قد يكون له تأثير أكبر، ذلك أن الأوضاع الخارجية المصطنعة والضاغطة تقف في مواجهة ثقافة المجتمع إذا كان هو يعيش حالة ضعف داخلية، لتؤدي بالتالي إلى ظهور الأزمات في المجتمع. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال تأثر شعوب العالم الثالث في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين بالثقافة الغربية.

ونحن اليوم نعيش في عصر التغيرات والتحولات، والثقافة باعتبارها مظهراً كسائر مظاهر العصر فأنها هي الأخرى تتعرض لتغيرات وتحولات عميقة وسريعة تنجم في معظم الأحيان عن التبادل الثقافي الهائل في أعقاب ثورة الاتصالات وانتقال المعلومات والأخبار بين مختلف أنحاء العالم الذي يمكن القول أنه يشبه حالياً مدينة صغيرة من حيث التبادل الفكري والثقافي حتى لم تعد هناك ثقافة تستطيع العيش بمعزل عن الثقافة الأخرى تؤثر وتتأثر بها. وهكذا أصبح نوع من التواصل والعلاقات بين مختلف المجتمعات في العالم يكون لأي تحول في واحد منها أصداء في سائر المجتمعات.

إن ظهور شبكة الاتصالات الحديثة المتطورة والأقمار الصناعية التي تخطت الحدود أدى إلى نفوذ الثقافات الغربية ذات الروح العدائية التسلطية إلى الدول النامية، التي أخذت تهدد ثقافات هذه الدول بالتبدل والتغيير. وفي حقيقة الأمر إننا وعلى أعتاب القرن الحادي والعشرين أصبحنا نواجه مشكلة يمكن تسميتها بـ «**تصادم الثقافات**» بدل «**تعايش الثقافات**»، وذلك لشدة العلاقات والارتباط الذي يقوم بين مختلف ثقافات العالم. وصحيح أن هذا قد يعطي هذه الثقافة الحركة والنشاط وروحاً جديدة للاستمرار إلاّ أنها تؤدي من جهة أخرى إلى ظهور الإحساس بالحقارة لدى بعض الأمم والشعوب عندما ترى نفسها متخلفة في ثقافتها عن سائر الأمم والشعوب. فيدفعها هذا الإحساس إلى تقليد تلك الأمم في ثقافتها وخاصة تقليد الثقافات الغربية الّتي تطورت فنياً وتقنياً وتقدمت على ثقافات الشعوب الأخرى من هذه الناحية. وهكذا تفقد دول العالم الثالث الثقة بنفسها تدريجياً وتكون عرضة وفريسة لغيرها من الدول.

وقد يلاحظ أن طبقة الشباب الجامعيين الذين اطلعوا عن كثب على التطور العلمي والصناعي، هم أكثر الفئات تأثراً بالثقافات الدخيلة على مجتمعاتها الأصيلة ومن ثم قبولا بتلك الثقافات.

لذلك كان على كل أمة أن تحرص على حفظ ثقافتها، وتسعى لترسيخها وتثبيت جذورها في شتى المجالات الفكرية، والاجتماعية، والسياسية، وتعمل على المحافظة عليها، والاهتمام بها، وتأصيلها في أبنائها، ومن ثم

إيصالها إلى الآخرين باستخدام الوسائل المتاحة لديها. وهذه المفاهيم هي ما يمكن أن نطلق عليها اسم الثقافة، لأن الثقافة هي أساس بناء المجتمع، وهي عامل استمراره، وعدم ذوبانه، وأي نهضة يراد لها للمجتمع يجب أن تكون في إطار ثقافته الخاصة، وأي تطور يراد استيراده يجب أن يكيف وفق الخصوصية الثقافية للمجتمع.

فلكل مجتمع شخصيته الخاصة به التي تنبع من ثقافته، وهي تشكل عناصر مهمة بالنسبة لأفراده، لأنها تحوي عناصر الفكر، والتصور، والاعتقاد التي تشكل بدورها الأرضية الفكرية للبناء الأخلاقي، وتركيب شخصية الفرد بنواحيها العقلية، والنفسية، والروحية.

وهذا ما يفسر اهتمام الأمم عبر تاريخها بنشر ثقافتها، وحمايتها من الانصهار في غيرها من الثقافات، أو السماح لغيرها بالحلول محلها، لأن الثقافة تمثل الصورة الحية للمجتمع، التي تحدد ملامح شخصيته، وتضبط سيره في الحياة، وتحدد اتجاهه فيها. فهي تحفظ مبادئه ونظمه وتراثه وفكره ونمط حياته.

فشو ظاهرة تأخر الزواج في الوطن العربي:

فرضت الظروف المعيشية والتغيرات الاقتصادية والثقافية والعلمية خطراً من نوع خاص صار يقلق الأسر والحكومات العربية، وهو تأخر سن الزواج الذي أصبح يستهدف الشباب العربي من الجنسين بالدرجة الأولى.

وقد أوضحت الإحصائيات أن تأخر سن الزواج لا يقتصر على النساء فقط فهناك نسبة كبيرة من الرجال يعانون من هذه الظاهرة، ففي سوريا بينت الأرقام الرسمية أن أكثر من 50% من الشباب السوريين غير متزوج، وأن 60% من الفتيات اللاتي تتراوح أعمارهن بين 25 و29 عاماً دون زواج، ونسبة 2.37% دون زواج اللاتي تجاوزت أعمارهن 34 سنة، وهو ما يعنى أن أكثر من نصف النساء غير متزوجات.

وفى لبنان، أكدت إحصائية أجرتها وزارة الشئون الاجتماعية والصحة اللبنانية أن نسبة الذكور غير المتزوجين ما بين 25 و30 سنة تبلغ 1.95% والإناث 83.2%.

أما في مصر فقد أكدت دراسة صادرة عن المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أن نسبة غير المتزوجين من الشبان من الجنسين بلغت بشكل عام حوالي 30% وبالتحديد 29.7% للذكور و 28.4% للإناث.

وأشارت نتائج دراسة أردنية مماثلة إلى تأخر عمر الفتيات عند الزواج الأول إلى 29.2%، بينما يتأخر إلى 31.9 % سنة لدى الذكور[1].

[1] - www.islamonline.net

وفي الجزائر كشفت الأرقام الرسمية، التي أعلنها الديوان الجزائري للإحصاء أن هناك أربعة ملايين فتاة لم تتزوجن بعد، على الرغم من تجاوزهن الرابعة والثلاثين، وأن عدد العزاب تخطى 18 مليونا من عدد السكان البالغ 30 مليون نسمة[1].

كما أعلنت دراسة نفذها الديوان الوطني للأسرة والعمران البشرى بتونس تزايد نسبة العزوبية.

و المجتمع المغربي يحدد سن العنوسة بالنسبة للفتاة في العالم القروي في العشرين سنة. أما في العالم الحضري فقد تصل هذه السن إلى ثلاثين سنة. ومعدل سن الزواج في المغرب ارتفع لدى النساء إلى 28 سنة أما بالنسبة للرجال فقد ارتفع إلى 31 سنة وظاهرة العنوسة تستفحل يوما بعد يوم, وهي في تزايد مستمر خصوصا في ظل غياب أي مشروع لمحاربتها. ولقد تحدثت بعض الدراسات عن 8 ملايين من العوانس في المغرب وهو رقم إن صح مخيف خاصة إذا أضفنا إليه نسبة المطلقات واللاتي غالبا ما تغيب عندهن فرصة الزواج مرة ثانية للنظرة السلبية التي ينظر بها المجتمع إليهن, فيصبحن بحكم الطلاق عوانس[2].

وهذه الإحصائيات تبين استفحال الظاهرة، وهذا ما دفع خبراء الاجتماع وشئون الأسرة العرب إلى لفت الانتباه لدراسة الظاهرة، والكشف عن الأسباب الكامنة وراءها، وكيفية مواجهتها والتخفيف من سلبياتها على الشباب والفتيات والمجتمع كله.

ولعل من الخبراء من يشير إلى أن الأزمة الاقتصادية وضيق ذات اليد في مقدمة الأسباب التي أدت إلى تفاقم المشكلة، فعلى سبيل المثال لعب التغيير الاقتصادي الذي ساد منطقة الخليج العربي دوراً كبيراً في زيادة الخلل، حيث بدأت الأسر بتقليد من هم أعلى منهم اجتماعيا، ما أدى إلى المغالاة في المهور والبذخ في الأفراح وارتفاع أثمان الأثاث وفخامة البيوت. وفي بعض البلدان العربية قد يكون الفقر والبطالة حاجزا دون إقدام الشباب على الزواج.

لكن هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية على العامل الاقتصادي قد أدت إلى تفاقم هذه الظاهرة وتوسعها في المجتمع، ومن أهمها العامل الثقافي.

التحولات الثقافية وأثرها على الزواج:

يرتبط تحول ثقافة المجتمع ارتباطاً وثيقاً بالتطور التكنولوجي، والنمو الاقتصادي، وتغيرات المحيط العالمي. فلم يعد المجتمع بمعزل عن المحيط الخارجي ولا عن التطورات المختلفة التي تحدث داخله أو خارجه، من الواضح أنّ مجتمعاً بسيطاً مكوناً من بضعة مئات من الأفراد في صحراء النقب أو في أدغال إفريقيا أو غابات الأمازون لا يمكن أن يطور بمفرده نظاماً اجتماعياً دون الاختلاط بمجتمعات أخرى أو ثقافات أخرى. هذا

[1] - www.djazairnews.info - www.ons.dz

[2] - www.oujdacity..net

الفهم الواضح لمعنى الثقافة جعل اليابان و من بعدها الصين ودول النمور الأسيوية ، جعلها قادرة على تغيير ذاتها من مجتمعات إقطاعية زراعية إلى مجتمعات صناعية متقدمة إلى أبعد الحدود. وبناءً على ما تقدم نقول أن الثقافة الإنسانية تنمو وتتعاظم ، وذلك يعني ، أنها يمكن أن تتمدد من مجتمع إلى آخر ضمن حدود البيئة الجغرافية وطبقاً لقدرة المجتمع على استيعاب أفكار جديدة ، والتعامل الإيجابي معها.

ومع ذلك فالثقافات الإنسانية تتباين تبايناً واسعاً من مجتمع إلى آخر، بفعل عوامل إقليمية وجغرافية ودينية وطبقية، فيبقى لكل مجتمع ثقافته الخاصة به.

ويبدو هذا التباين واضحا في الثقافات في صورة عادات ومعتقدات اجتماعية يكون لها أحياناً صفة وبعد ديني، كمسألة تعدد الزوجات التي يختلف حكمها من مجتمع إلى آخر.

فلكل مجتمع من المجتمعات أنماطها وتقاليدها وطقوسها في الزواج، بعضها تيسره، وبعضها تعقده، وبعضها تحيطه بهالة من الشروط والمقدمات، ولكل ذلك أثره إما على تشجيع الزواج وتكثيره، وإما على تأخير الزواج وتقليله.

بل إن ثقافة لها صلة بشبكة العلاقات المرتبطة بالزوجين أو بالأسرة. ففي بعض الثقافات يكثر الحديث عن أم الزوجة، التي تعتبر معرقلة لسعادة الزوجين لتدخلها في شؤونهما الخاصة، وفي بعض المجتمعات يعتبر الأب قوي الشخصية إذا كان يتصرف كالمتسلط مع أفراد أسرته. وفي مجتمعات أُخرى يعتبر الأب جيداً إذا كان حامياً للأسرة ومتسامحاً معها. وقد تكون هذه الثقافة محكومة بضوابط من البيئة والمناخ العام للأسرة ونسبة التعليم فيها وما إلى ذلك.

إلا إن التحولات الثقافية الناتجة عن التأثر بالمحيط الخارجي، والتطور الداخلي قد غيرت الكثير من الأشياء حول الزواج، فلم يعد الزواج يحتل نفس النظرة أو المكانة التي كان عليها من قبل، كما أن ذلك أنشأ تقاليد جديدة ونمطا جديدة في كيفية ممارسة الزواج.

من ذلك تراجع نسبة الزواج المبكر نظرا لبعض التشريعات القانونية المعرقلة التي ترفع من سن الزواج، وكذا أنماط التعليم الحديثة التي تختلف عما كان عليه التعليم قديما والتي تستغرق عمرا طويلا من حياة الإنسان. فالتعليم على شكله الحالي يجعل الفتى والفتاة حتى دخول الجامعة ليس لهم همّ إلا النجاح والحصول على أعلى الدرجات، وهو ينتقل من مرحلة إلى مرحلة، ثم ربما فكر في مواصلة الدراسة، ثم بعد ذلك يجد نفسه في مواجهة الحياة، وهي تختلف عن العالم الذي ألفه في مقاعد الدراسة. وقد تكون الكثير من

التخصصات[1] قد خلت مناهجها الدراسية ومقررات مما يساعد على تكوين ثقافة الزواج، وتحمل المسؤولية، وبناء الأسرة، وخدمة المجتمع من خلال ذلك.

إضافة إلى بعض الالتزامات الوطنية كالخدمة العسكرية، وهمّ الحصول على العمل، وإيجاد السكن...؛ كل ذلك شكل ثقافة جديدة نحو الزواج الذي لم يعد يحتل أولويات الاهتمامات الشخصية، بحيث صار كل من الذكر والأنثى يُفكر في الزواج بعد استكمال الشروط المادية والعلمية التي تجعل الفرد يتفرغ للزواج.

وأيضا على مستوى المساجد قد يكون شيء من التقصير، حيث لم يواكب الخطاب المسجدي التحولات الثقافية التي يتعرض لها المجتمع باستمرار، فقد خلت الكثير من الخطب والدروس الدينية من تناولٍ للظاهرة وأسبابها وطرق العلاج، بالرغم من أن تعاليم الإسلام وأحكامه قادرة على بناء ثقافة سليمة عن الزواج، ويمكن للبعد الديني أن يعالج معوقاتها.

ولعل غياب البعد الديني ساهم كثيرا في تفاقم مشكلة تأخر الزواج والعزوف عنه، فليس هناك نظرة واعية تهتم بتتبع الظاهرة، ودراسة الأرقام والإحصاءات، ومن ثم سلوك برنامج ديني عملي وواقعي لعلاجها، وليس فقط إصدار فتاوى متفرقة لا تستحضر الأبعاد الزمانية والمكانية للظاهرة، وقد تختلف فيما بينها، وبالتالي لا تقدم حلولا نافعة للمجتمع.

خطر ظاهرة تأخر الزواج على تفويت مقاصد الزواج وحِكَمِه:

شرع الإسلام الزواج لمقاصد سامية ولتحقيق غايات عظيمة جليلة، فرغب فيه في نصوص كثيرة من القرآن والسنة النبوية، لكن فشو ظاهرة تأخر سن الزواج في المجتمع قد يفوت تحقيق هذه المقاصد السامية للزواج، منها:

1 . إن الزواج وسيلة من وسائل العفاف والإحصان والعفة لقول النبي صلى الله عليه وسلم "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"، لكن بتأخر سن الزواج وعزوف الشباب عنه لأسباب كثيرة قد يؤدي بهم إلى الانحراف وارتكاب المعاصي.

2 . ومن أهداف الزواج أنه سبب لبقاء النوع البشري والإنساني، لكن بالعزوف عنه والبحث عن بدائل أخرى غير فطرية كالزنا وزواج الجندر وزواج الرجل بالرجل أو زواج المرأة بالمرأة فإن ذلك يؤدي إلى التقليل من الجنس البشري، وانتشار آفات اجتماعية خطيرة.

[1] – إذا استثنينا تخصصات علوم الشريعة، وكليات الحقوق بنسبة أقل.

3 . الزواج وسيلة إيجابية لتحقيق الأمومة والأبوة وصناعة الأجيال المتلاحقة لإقامة المجتمع المسلم، هذه الأهداف وهذه الغايات السامية إذا تعطل هذا الزواج ولم يتم فإنه يحدث فيها خلل كبير، فبدون الزواج لا يتحمل كل من الرجل والمرأة مسؤوليته في إنجاب الأولاد وتربية النشء ورعايته.

4 . الزواج وسيلة للتعارف بين الناس، والربط بين مختلف الأسر والعائلات، وسنة التعارف مقصد قرآني عظيم يوطد شبكة العلاقات الاجتماعية، قال تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**"[1]. لكن بتراجع نسبة الزواج في المجتمع، وعزوف الشباب عنه يؤدي إلى إضعاف الروابط الاجتماعية، وتفكك العلاقات بين الناس.

لذلك فإن ظاهرة العنوسة أو تأخر الزواج خطر يهدد الزواج ويهدد هذه الأهداف السامية التي لأجلها شرع الزواج.

الزواج ثقافة

إن الزواج سنة الله تعالى في خلقه، درجت عليه البشرية منذ نشأتها إلى يومنا هذا وإلى قيام الساعة، وبه استطاع الإنسان أن يحافظ على وجوده فوق الأرض، لذلك لما جاء الإسلام أقره وضبطه بأحكام وتشريعات مختلفة للمحافظة عليه وليؤدي مقصوده في هذه الحياة.

والزواج لا ينظر إليه أنه من العادات الاجتماعية الموروثة، بل هو ثقافة ينشأ عليها الفرد والمجتمع.

فلكل مجتمع من المجتمعات نظرته إلى الزواج، وبناء على هذه النظرة يكون تفاعل المجتمع مع الزواج أم لا.

فالمجتمع المسيحي بحكم ديانته وتقاليده وحضارته قد تشكلت لديه ثقافة خاصة تجاه الزواج، هذه الثقافة التي يتشبع بها الفرد. كما أن المجتمع الإسلامي بحكم تعاليمه وتقاليده التي غرسها بين أتباعه قد تشكلت ثقافة متميزة نحو الزواج، يتأثر بها الأفراد في سلوكهم وتصرفاتهم.

والزواج يتأثر بثقافة المجتمع التي تشكلت بجملة من العوامل الدينية والتاريخية وغيرها، والفرد تجاه مسألة الزواج يتصرف وفق تلك الثقافة، وبناء على تلك الثقافة تكون فلسفته تجاه الزواج.

لذلك حرص الإسلام بتعاليمه المختلفة أن يشكل ثقافة الزواج لدى الفرد، وأن يبن رسالته في الحياة.

وقد تتشكل ثقافة الفرد نحو الزواج بفعل محيطه الأسري والاجتماعي وتجاربه الخاصة، فقد تتكون لدى الفرد ثقافة إيجابية نحو الزواج، أو ثقافة سلبية، فمثلا فقد يستمد الفرد ثقافة الزواج من تجارب سيئة في صغره، أو من محيطه الأسري في علاقة الوالدين، أو في محيط الأقارب، أو من الأصدقاء الذين لديهم بعض الخبرات

[1] – الحجرات: 13.

الخاطئة, أو من وسائل الإعلام التي تتناول المشكلات الاجتماعية بشكل ظاهري دون بحث عميق عن جذور أي مشكلة, وقد تُستقى مما رسخ في ذاكرة المجتمع عن الهيمنة الذكورية على الإناث, كالأمثلة الشعبية عن الرجل الذي لا يعيبه إلا جيبه، وما إلى ذلك. فلا يعد الزواج بعد ذلك في مخيلة الفرد مودة ورحمة بين الزوجين، بل استعلاء الرجل على المرأة، أو قهر وتسلط في الأسرة. وكنتيجة حتمية لهذا الوضع المختل تزداد المشكلات الاجتماعية، ويتأخر سن الزواج، ويتعقّد بدلا من أن يُيسر، وتتصارع العائلات، وترتفع نسبة الطلاق, وهو ما يولد عقدا في نفوس الأطفال الذين سيكونون أزواج وزوجات في المستقبل, مما يشكل لديهم تخوفا من الزواج، وهكذا تنقل هذه الثقافة من جيل إلى جيل، الأمر الذي ينجم عنه مشكلات أسرية واجتماعية جديدة، يكون لها تأثيرها المباشر على الزواج وغيره من قضايا المجتمع.

فالحل يكمن في تفادي نشوء هذه المشكلة من الأساس, وذلك في حسن بناء ثقافة الفرد، وتصحيح نظرته نحو القضايا الاقتصادية والاجتماعية ومنها قضية الزواج، ومن ثم بناء شخصيته القادرة على تحمل المسؤولية والتعامل بإيجابية مع محيطه الاجتماعي.

وبناء هذه الشخصية السوية السليمة يبدأ في السنوات الأولى من عمر الإنسان, والمعلوم أن الاضطرابات الشخصية على تفاوت شدتها وحدتها تعود إلى مرحلة الطفولة أكثر من أي مرحلة أخرى, حيث أن الطفل مخلوق حساس يتأثر بما يشاهده وما يسمعه فهو كالصفحة البيضاء التي تسجل كل ما يكتب عليها, لذلك فالنقاط السلبية في شخصيته أو نظراته المتشائمة تجاه بعض القضايا أو التخوف منها، تنجم من تراكمات في نفسه نتيجة أنماط تربوية خاطئة، أو ما يشاهده من حوله، لذلك فالتغيير والبناء يبدأ من النفس ومنه إلى الأسرة والمجتمع، لقوله تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ**)[1].

تغير نظرة الأفراد نحو الزواج

أصبح المجتمع العربي ومنه المجتمع الجزائري يتخبطً بين عادات وتقاليد جديدة، وبين مفاهيم الحضارة الوافدة إلينا، وتجسد ذلك واضحا في تأثر العائلات والأفراد والحكومات بالتحولات الثقافية والاقتصادية وما صاحبها من أزمات وتغيرات اجتماعية، أفرزت عدة مشكلات، منها مشكلة تأخر الزواج، الذي من آثاره العنوسة التي تحولت وفقا لهذا الاتجاه إلى مشكلة مادية بحتة، نتيجة التغييرات الحادة التي طرأت على تفكير أغلب الناس ونظام الحياة بشكل عام ، بحيث تغيرت نظرة كل من الشباب والفتاة نحو الزواج.

ويشكل العامل الثقافي سببا مهما لمشكلة العنوسة وتأخر الزواج، فخروج الفتاة للتعليم الجامعي والعمل، واحتكاكها بالشباب ورؤيتها لأنماط مختلفة منهم، جعلها مترددة في الاختيار، مما أدى إلى عدم الإقدام

[1] – الرعد:11.

على الزواج بشكل جدي، إضافة إلى هاجس إتمام الدراسة والحصول على العمل كل ذلك أدى في النهاية إلى ضياع الوقت وتجاوز الفتاة سن الزواج. والأمر نفسه بالنسبة للشباب الذي يعاني من معوقات كثيرة كأداء الخدمة الوطنية، والحصول على وظيفة وتوفير السكن، وتوفير تكاليف الزواج.

ثم إن الشباب تحت تأثيرات الثقافة الغربية التي يتلقاها عبر وسائط مختلفة أصبح قادرا على إقامة علاقات مختلفة مع الفتيات – تتفاوت في عمقها وطبيعتها – جعله يشعر أنه ليس بحاجة ملحة للزواج، وبالتالي أرجأ الزواج، لأنه يعلم يقينا أن المجتمع يقبل أن يتزوج الرجل – مهما كان سنه – بفتاة صغيرة وقتما يشاء ، بينما ينظر بتوجس لفتاة تتزوج من هو أصغر منها أو يتأخر زواجها.

فالملاحظ إذن هو عزوف الكثير من الشباب عن الزواج وتسويفهم له لارتباطهم بعلاقات عاطفية، أو رغبتهم في الحرية وعدم الالتزام بالمسؤولية أو غير ذلك من القناعات الفكرية والتأثرات الثقافية التي لا تسوغ شرعا ولا يجوز الاعتماد عليها.

أيضا امتناع بعض الفتيات عن الزواج لمفاهيم خاطئة وأفكار مثالية سعيا وراء الأمل المنشود وفارس الأحلام، وكل ذلك خيال قل أن يتحقق في الواقع، وكم من فتاة ندمت أشد الندم على فوات شبابها، والواجب على الفتاة عند خطبتها التعقل والمشاورة والاستخارة والموازنة بين المصالح والمفاسد والتركيز على توفر صفة الدين والخلق في الشاب .

كما أن العائلة لها دورها في تأجيل زواج البنت لأسباب واهية و مبررات غير مقنعة كسن الفتاة وتعليمها أو حصولها على وظيفة، مما يكون سببا لحرمان الفتاة ووقوعها في العنوسة.

إضافة إلى القناعات الشخصية التي هي نتيجة للتكون الثقافي والبيئي للفرد، حيث يوجد بعض الأشخاص الذين يفضلون حياة العنوسة بوعي أو بغير وعي على الرغم مما يتمتعون به من الظروف المواتية للزواج، وتوافر فرص الزواج أكثر من مرة، فالفتاة في هذه الحالة ترفض لأسباب ظاهرية كل من يتقدمون لخطبتها وتدّعي أنه لم يأت النصيب بعد أو لم يأت العريس المناسب، أو الشباب الذي يتحجج بحجج كثيرة كالعمل ومواصلة الدراسة، وتحسين ظروفه المادية، وفي الحقيقة هي أسباب نفسية وثقافية . سواء أكانت على علم أو دون علم . تكونت في مخيلة الفرد جعلته يرفض الزواج، أو يؤجله. ومثل هذه الشخصية إذا تم زواجها بضغط من الأسرة أو من المجتمع فإنها سرعان ما تسعى نحو الانفصال والعودة إلى حياة الوحدة مرة أخرى متعللة بأي مشكلات ظاهرية.

وهذا ما يسمى بالعنوسة الاختيارية، التي ظهرت حالات متعددة منها، تتوسع رقعتها يوما بعد يوم، وتتغذى هذه الحالة من الاستقلالية التي اكتسبتها الفتاة الموظفة سواء إزاء أسرتها أو قدرتها المادية، أو اكتسبها الشباب من محيطه الاجتماعي والثقافي الذي يتربى به.

حتى صارت الفتاة أو العانس تقول:" لم أعثر بعد على شريك حياتي، أبحث عن شريك حياة يقدر اهتماماتي ويفهمني، وهذا لم أعثر عليه بعد، أنا أعيش وحيدة، خير من العيش مع زوج سيئ".

ويعتبر المحللون أن هذا نتيجة للتحولات الاجتماعية والثقافية الناتجة عن التأثر الغربي، وضعف الوازع الديني، وهو ما يجعل علاقة الجنسين ممكنة خارج شرعية مؤسسة الزوجية، دون التزامات ولا مسؤولية.

العوامل المؤثرة على تغيير ثقافة المجتمع تجاه الزواج:

1 . دور الإعلام في تشكيل ثقافة جديدة للزواج:

ومن أعظم العوامل التي تعيق الزواج و تؤخره عند كثير من الشباب والفتيات الإعلام الفاسد المتأثر بنظريات الغرب ومبادئه الذي يبث لأبناء المسلمين أنماطا اجتماعية وثقافية بعيده عن روح الإسلام وآدابه، ولا صلة لها بعادات المجتمع وتقاليده، مما يجعل الفتى والفتاة يتروون جدا في قرار الزواج المبكر في الوقت الذي ينساقون وراء العلاقات الغير شرعية والأماني الكاذبة.

فالإعلام . إضافة إلى الأسباب الأخرى . غرس ثقافة جديدة لدى الشباب غير التي تلقوها في أسرهم أو في المدرسة، فالأفلام التي تروي قصص الحب والغرام، والخيانات والعلاقات المحرمة، وتصوير مآسي الزواج، وتضخيم آثار الطلاق، كل ذلك كون خوفا لدى الشباب من الزواج وتبعاته.

مما جعل الكثير من شباب يفضل أن يعيش العلاقات العاطفية خارج إطار الأسرة حتى لا يتحمل أية مسؤولية، أو يكون الإعلام قد كون في نفسه انهزاما وخوفا، جعله لا يتحدى العقبات، وإنما آثر الهروب من المواجهة؛ خوفا من المستقبل وعدم تحمل المسؤولية، والبحث فقط عن أسباب الرفاهية والكماليات وإتباع الشهوات.

لذلك فإن الإعلام يقوم بدور مؤثر في نشر وترسيخ ثقافة الزواج وبيان أهميته بشكل سوي يتوافق مع القيم الدينية والأخلاقية والأعراف السليمة، فالزواج . على الرغم من انتقاد البعض له أو الشكوى من مشاكله . هو أفضل مؤسسة اجتماعية عرفها البشر حتى الآن، ويؤدي وظيفة بنائية ضرورية لاستمرار الجنس البشري وارتقائه خاصة في حالة قيامه على أسس سليمة.

لذا فالإعلام يؤدي دورا مهما في توعية الجميع بأوامر الشريعة وتنبيه الجميع لهذه الأخطار، إحياء للقيم الإسلامية الأصيلة المتعلقة بمسائل الزواج وشروطه حتى يتعرف المجتمع على أصول دينه التي تنهى عن التأخر في الزواج وعن المغالاة في المهور أو وضع عقبات في طريق إتمام الزواج أو تعويقه، لأن الدين الإسلامي الحنيف حث على الزواج في سن مبكرة ودعا المسلمين إلى التيسير وعدم المغالاة في المهور حيث إنه وضع اعتبار حسن الدين والخلق هو الشرط الأول والأهم في إتمام الزواج، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" **إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**"[1].

2 . أثر العامل الاقتصادي في تشكيل ثقافة المجتمع تجاه الزواج

لا شك أن التغيرات الاقتصادية التي مر بها المجتمع الجزائري، مما كان عليه في العهد الاستعماري، ثم النظام الاشتراكي ثم نظام السوق، وما تبع ذلك من آثار على مستوى المعيشة ونمط الحياة، كل ذلك شكل ثقافة جديدة تجاه الزواج، من حيث تكاليفه ومتطلباته.

بينما في السابق كانت الحياة نوعا بسيطة غير معقدة، وظروف المعيشة مواتية، وبالتالي كان الناس يقبلون على الزواج دون خوف من تبعاته.

أما مع التغيرات الاقتصادية الجديدة، فصار الناس ينظرون إلى الزواج على أنه عبء يحملهم تبعات مالية ونفقات قد تفوق مداخيلهم المادية، بالتالي صار الشباب يفكرون في تأخير الزواج ريثما يوفرون الجوانب المالية، ويستكملون الاستعداد المادي، وأمام هذا الانتظار والاستعداد للزواج الذي قد يطول أمده يمتد العمر بالشاب أو بالفتاة ويجد كل منهما نفسه قد كبر في السن ولم يحقق ما يريد، مما يجعل شريحة واسعة من المجتمع ضحية الظروف الاقتصادية التي فرضها عليهم الواقع الجديد.

3 . التأثر بثقافة الغرب وأسلوب حياته

فالمعلوم أن المجتمعات العربية تأثرت إلى حد كبير بثقافة الغرب وأسلوب حياته، وكان لذلك تأثيرات مختلفة على حياتها الاجتماعية، ومنها مسألة الزواج، وهذا ما أدى إلى تراجع الثقافة الإسلامية عن قيادة الحياة الاجتماعية.

فالغرب منذ الثورة الفرنسية صارت له ثقافة معينة تجاه الأسرة والزواج والعلاقات الإنسانية، والمشكلة أن الغرب صدر إلينا هذه الثقافة التي غيرت من نمط الحياة، وصار الفرد لا يعير الزواج اهتماما، بل يعده في آخر أولوياته الحياتية.

والملاحظ أن العلاقات في الغرب قائمة على الحرية، وإشباع الغرائز بطرق غير شرعية، لكنها في نظرهم مباحة، وتدخل ضمن الحريات الشخصية للأفراد.

إضافة إلى الفترة الاستعمارية التي كان لها الأثر السيئ على مجتمعنا الجزائري، ثم فترة ما بعد الاستعمار التي كانت مثقلة بهذا الموروث السيئ.

---

[1] – أخرجه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب الأكفاء، رقم:1957 واللفظ له – وأخرجه الترمذي في كتاب النكاح عن رسول الله، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه، رقم:1005.

والمعلوم أن المجتمع الإسلامي ومنه المجتمع الجزائري تعرض ولا يزال لهجمات ثقافية مدروسة ومتتالية منذ القرن الماضي التي يشنها أعداء الأمة الإسلامية لفرض ثقافتهم عن طريق التنصير والاستشراق والتغريب، عبر وسائل مختلفة.

فقد حاول هؤلاء صبغ المجتمعات الإسلامية بالصبغة الغربية في كل جوانب الفكر والسلوك ونمط الحياة، ليصبح المسلم يفكر ويعيش كما يفكر ويعيش الغربيون، ويتحرر من عرف بلده وموروثه الثقافي والديني، فلا يبقى له من الإسلام إلا الاسم.

هذا الغزو الثقافي الذي بدأ مع الاستعمار الأوروبي على البلاد الإسلامية المستعمرة في حركة شاملة، سخر لها كل وسائل الإعلام والتعليم، ورسم لإنجاحها مخططا شاملا مرحليا، بدأ بتنفيذه أثناء وجوده، ثم أوكل إكمال المهمة التغريبية إلى أتباعه بعد الاستقلال.

والتغريب أو الغزو الثقافي الغربي على العالم الإسلامي شمل كل المظاهر السياسية والفكرية والاجتماعية والسلوكية.

ففي المجال السياسي تأثر أنظمتنا بالنظام الديمقراطي الغربي وحقوق الإنسان حسب المفهوم الغربي على أنه الأصوب والأرقى، وحوربت اتجاهات التغيير والإصلاح المحلية.

وفي الجانب الاجتماعي التقليد الأعمى، الذي ظهر على حياة الناس في مأكلهم ومشربهم وملبسهم وكافة أنماط حياتهم، وظهور أفكار تحرر المرأة، والحريات الشخصية، كل ذلك كان على حساب القيم الدينية والتقاليد الذاتية وخصوصيات المجتمع.

وهكذا فإن برامج التغريب تحاول أن تخدم هدفا وهو هدم القيم الثقافية الحضارية الإسلامية وإضعاف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين.

والشيء الذي يميز الأمم عن بعضها البعض هو الثقافة، والثقافة قابلة للتغيير بمرور الوقت خاصة إذا كانت مستهدفة ضمن برامج ومخططات مدروسة. إلا إذا كان المجتمع يسعى بجد وإخلاص للاحتفاظ بثقافته.

ولكن هذا التغيير الذي يقصده الأعداء يجري بشكل تدريجي، حتى أن الإنسان لا يشعر به في معظم الأحيان.

ومن أجل صد هذا الغزو يجب تعزيز ثقافة المجتمع وتقوية استحكاماتها وسد الثغرات الموجودة فيها. وإعداد الأدوات اللازمة لمواجهة الغزو.

ثم إنه لابد لكل إنسان إذا أراد أن يكون هو ومجتمعه في مأمن من الغزو الثقافي الأجنبي أن يحترم ثقافة بلاده وشعبه ويسعى من أجل إصلاحها وتحسينها وتحصينها، لأن الثقافة الضعيفة تعني أن القواعد الأساسية للبلد تكون عرضة للانهدام والدمار. وتستدعي تقوية وتعزيز الثقافة أن يطّلع أفراد المجتمع على

ثقافتهم ويعرفوا نقاط الضعف ونقاط القوة فيها، لأن الجهل بهذه الثقافة لا يساعد على تقويتها وصيانتها، كما أن عليهم أن يملكوا معلومات كافية عن الثقافات الأخرى حتى يستطيعوا عند الضرورة مواجهة غزو تلك الثقافات لثقافاتهم.

إن الثقافة تلعب دوراً كبيراً جداً في تكوين شخصية ورؤية وذهنية الأفراد. وبغض النظر عن الخصائص الّتي تحصل للإنسان عن طريق الوراثة، فأنّ النشاطات الثقافية تلعب دوراً أساسياً في تكوين بقية الخصائص. وبما أن إطار شخصية الإنسان يتكون في مرحلة الطفولة وسني الدراسة الابتدائية، وكذلك لكون الغزو الثقافي أكثر تأثيراً على شخصية الطفل منه على شخصية الكبير، لذا يكون دور الأسرة ودور المؤسسات التعليمية في المرحلتين الدراسيتين الابتدائية والمتوسطة حساساً جداً في صيانة ثقافة الطفل والحيلولة دون تأثره بثقافة غريبة على المجتمع الذي يترعرع فيه.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن تقوية الثقافة الأصيلة للمجتمع لا يعني عدم الالتفات إلى التحولات الثقافية الجارية هنا وهناك، كما لا يعني نقل الثقافة الأصلية والتقليدية من جيل إلى جيل دون تطوير وتعديل وإصلاح، بل لابد من هذا التطوير حتى تكون صالحة لكل جيل وتلبي حاجات المجتمع في كل عصر.

تعاليم الإسلام وأثرها الإيجابي في تشكيل ثقافة المجتمع نحو الزواج:

التأمل في النصوص الشرعية الواضحة، وتعاليم الإسلام السمحة يجدها حافلة بالمعاني التي تبين مكانة الزواج والترغيب فيه، والحث عليه، وتبين أجره وثوابه عند الله تعالى، وأنه قربة من القربات، وهذه المعاني كفيلة بتكوين ثقافة سليمة تجاه الزواج والإقبال عليه.

والإسلام ينظر إلى الزواج على أنه سنة كونية قام عليه كل شيء في الوجود، كل شيء في الكون قائم على الازدواج، قال تعالى :(**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**)[1]، (**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ**) [2]، فالإنسان لا ينبغي أن يشذ عن هذه السنة الكونية، ولذلك منذ خلق الله الإنسان الأول آدم وأسكنه الجنة لم يدعه وحده في الجنة، لأن ما معنى أن يسكن الإنسان في الجنة وحده ولا أنيس له ولا جليس، ولذلك خلق الله آدم وخلق من جنسه زوجاً (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**) [3]، وقال:(**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ**

[1] – الذاريات:49.

[2] – يس:36.

[3] – النساء:01.

أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا) [1]، وبين تعالى حكمة خلق الزوج بقوله:(**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا)** [2]. ثم الزواج هو السبب الوحيد لبقاء النوع الإنساني، هذا الإنسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى ليعمر الأرض بالخير والصلاح، ويكون خليفة في هذه الأرض، فكان لا بد أن يزودج مع امرأة أخرى حتى يحدث التناسل، والقرآن يشير إلى هذا بقوله **(وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ)** [3].

وقد جعل الإسلام من أهداف الزواج إيجاد الأسرة المسلمة التي هي الخلية الأولى لقيام المجتمع المؤمن، أن يوجد البيت ومن مجموعة البيوت يتكون المجتمع ومجموعة المجتمعات تتكون الأمة الصالحة، فالحياة الزوجية التي قال فيها تعالى: **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)** [4] هي التي تنتج أسرة صالحة التي يصلح المجتمع بصلاحها، كما أنها تحدث الرباط الاجتماعي عن طريق المصاهرة، قال تعالى **(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا)** [5]، فبهذا تتسع دائرة المودة والترابط بين الناس بعضهم وبعض، فمن أجل هذا كله حث الإسلام على الزواج ورغّب فيه.

والزواج جاء ذكره في القرآن الكريم، فقد أمر الله عز وجل عباده بالزواج ورغّب فيه لما فيه من المصالح العظيمة والحكم المتعددة، فقال سبحانه **(فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ)**[6]، وقال تعالى **(وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** [7].

وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال:"**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنْ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**"[8]، وعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: جَاءَ

---

[1] – البقرة:35.

[2] – الأعراف:189.

[3] – النحل:72.

[4] – الروم:21.

[5] – الفرقان:54.

[6] – النساء:03.

[7] – النور:32.

[8] – أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب من لم يستطع الباءة فليصم، رقم:4678. وأخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنه، رقم:2486.

رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا قَالَ:" لَا"، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ:" **تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأُمَمَ**"[1].

وفي رواية لأحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُ بِالْبَاءَةِ وَيَنْهَى عَنْ التَّبَتُّلِ نَهْيًا شَدِيدًا وَيَقُولُ:" **تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ إِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الْأَنْبِيَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**"[2].

وقد كان لهذه النصوص الشرعية آثارها الفقهية، فقد استحب الفقهاء الزواج لمن كان له شهوة وقدر عليه, وأوجبوه على من خاف العنت على نفسه وخشي عليها الفساد وكان قادراً.

إن الإسلام استطاع بتعاليمه وأحكامه وقيمه النبيلة أن يبني المجتمع على نمط ثقافي معين، انعكس إيجابا على نظرة الفرد إلى الزواج وغيره من شؤون الحياة الأخرى، حيث يعده الإسلام رسالة نبيلة في الحياة، يسهم بها في بناء صرح المجتمع الكبير، وتعمير الأرض بالخير والصلاح.

الخاتمة

يتضح مما سبق ذكره أهمية العامل الثقافي في انتشار الزواج أو تقليله، ودوره في ترغيب الناس فيه أو التنفير منه، وقد كان للتغيرات الثقافية، والتأثر بالمحيط الخارجي أثرها السلبي على الزواج. كما يتبين لنا أهمية التعاليم الإسلامية في بناء ثقافة سليمة نحو الزواج، والتي كان لها أثرها الطيب في تشجيع الزواج والترغيب فيه، لذلك علينا تفعيل دور الدين في توعية الناس بأهمية الزواج، وتصحيح نظرته نحوه، وبناء ثقافة سليم نحو الحياة

[1] – رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء، رقم:1754 واللفظ له، وأخرجه النسائي في كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العقيم، رقم:3175.

[2] – أخرجه أحمد في مسنده، رقك:13080.